

تفسير البحر المحيط

@ 305 @ النص . والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام ، ولما كانت النار تنفعل لما أرادته ا[] منها كما ينفعل من يعقل عبر عن ذلك بالقول لها والنداء والأمر . .

قال الزمخشري : فإن قلت : كيف بردت النار وهي نار ؟ قلت : نزع ا[] عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق والاشتعال ، كما كانت وا[] على كل شيء قدير ، ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم إبراهيم أدنى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ، ويدل عليه قوله { عَلَيَّ إِِبْرَاهِيمَ } انتهى . .
وروي أنهم قالوا هي نار مسجورة لا تحرق فرموا فيها شيخاً منهم فاحترق وأرادوا به كيداً . قيل : هو إلقاؤه في النار { فَجَعَلْنَاهُمُْ الْاُخْسِرِينَ } أي المبالغين في الخسران وهو إبطال ما راموه جادلوا إبراهيم فجدلهم وبكتهم وأظهر لهم وأقر عقولهم ، وتقووا عليه بالأخذ والإلقاء فخلصه ا[] . وقيل : سلط عليهم ما هو من أحقر خلقه وأضعفه وهو البعوض يأكل من لحومهم ويشرب من دمائهم ، وسلط ا[] على نمرود بعوضة واختلف في كيفية إذايتها له وفي مدة إقامتها تؤذيه إلى أن مات منها . .

والضمير في { وَنَجَّيْنَاهُ } عائداً على إبراهيم وضمن معنى أخرجناه بنجائنا إلى الأرض ولذلك تعدى { نَجَّيْنَاهُ } إلى ويحتمل أن يكون { إِلَيَّ } متعلقاً بمحذوف أي منتهاً { إِلَيَّ الْاَرْضُ } فيكون في موضع الحال ، ولا تضمن في { وَنَجَّيْنَاهُ } على هذا و { الْاَرْضُ } التي خرجا منها هي كوثى من أرض العراق ، والأرض التي صار إليها هي أرض الشام وبركتها ما فيها من الخصب والأشجار والأنهار وبعث أكثر الأنبياء منها . وقيل : مكة قاله ابن عباس ، كما قال { إِنََّّ أَوَّسَلَ بَيْتِ } الآية . وقيل أرض مصر وبركتها نيلها وزكاة زروعها وعمارة مواضعها . .

وروي أن إبراهيم خرج مهاجراً إلى ربه ومعه لوط وكان ابن أخيه ، فأمنت به سارة وهي ابنة عمه فأخرجها معه فارساً بدينه ، وفي هذه الخرجة لقي الجبار الذي رام أخذها منه فنزل حران ومكث زماناً بها . وقيل : سارة ابنة ملك حران تزوجها إبراهيم وشرط عليه أبوها أن لا يغيرها ، والصحيح أنها ابنة عمه هاران الأكبر ، ثم قدم مصر ثم خرج منها إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة على مسيرة يوم وليلة من السبع أو أقرب فبعثه ا[] نبياً . والنافلة العطية قاله مجاهد وعطاء أو الزيادة كالمطوع به إذا كان إسحاق ثمرة دعائه رب هب لي من الصالحين ، وكان { يَعْزُقُوبَ } زيادة من غير دعاء .

وقيل : النافلة ولد الولد فعلى الأول يكون مصدراً كالعاقبة والعافية وهو من غير لفظ { وَهَيَّئْنَا } بل من معناه ، وعلى الآخرين يراد به { يَعْزُقُوبَ } فينتصب على الحال ، و { كَلَّا } { يشمل من ذكر إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب . . }
{ يَهْدُونَنَا بِأَمْرِنَا } يرشدون الناس إلى الدين . و { أَرْمَئْتَهُ } قدوة لغيرهم . .
{ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ } أي خصصناهم بشرف النبوة لأن الإحياء هو التنبئة . قال
الزمخشري : { فَعَلَّ الْخَيْرَاتِ } أصله أن يفعل { فَعَلَّ الْخَيْرَاتِ } ثم فعلا
الخيرات وكذلك { صَالِحِينَ } وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَرْمَئْتَهُ يَهْدُونَنَا { انتهى . وكان
الزمخشري لما رأى أن { فَعَلَّ الْخَيْرَاتِ } وَإِقَامَ الصَّلَاةَ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةَ
{ ليس من الأحكام المختصة بالموحي إليهم بل هم وغيرهم في ذلك مشتركون ، بنى الفعل
للمفعول حتى لا يكون المصدر مضافاً من حيث المعنى إلى ضمير الموحى ، فلا يكون التقدير
فعلهم الخيرات وإقامهم الصلاة وإيتاءهم الزكاة ، ولا يلزم ذلك إذ الفاعل مع المصدر محذوف
، ويجوز أن يكون مضافاً من حيث المعنى إلى ظاهر محذوف يشمل الموحى إليهم وغيرهم ، أي
فعل المكلفين الخيرات ، ويجوز أن يكون ذلك مضافاً إلى الموحى إليهم أي أن يفعلوا
الخيرات ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وإذا كانوا قد أُوحِيَ إليهم ذلك فأتباعهم جaron
مجراهم في ذلك ولا يلزم اختصاصهم به ثم اعتقاد بناء المصدر للمفعول الذي لم يسم فاعله
مختلف فيه أجاز ذلك الأخفش والصحيح منعه ، فليس ما اختاره الزمخشري مختاراً . .
وقال ابن عطية : والإقام مصدر وفي هذا نظر انتهى . وأي نظر في هذا وقد